الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الثانية

أولية الشعر: -

يتبادر إلى الأذهان أن الشعر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائها والتي جاء عنها الشهر الجاهلي، ولاحظ ذلك بوضوح الجاحظ في قوله (أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة. فاذا استظهرنا الشعر وجدناه إلى أن جاء الله بالإسلام بِـ (خمسين ومائة عام) والجاحظ يتكئ في رأيه هذا على رأي ابن سلام الجمحي الذي قال فيه (إنما قصدت القصائد، وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وان أول من قصد القصيد وذكر الوقائع مهلهل بن ربيعة التغلبي)

وقد جمع ابن رشيق القيرواني بين الرأيين في قوله (وزعم الرواة أن الشعر كله إنما رجزا وقطعا، وانه قصد على عهد هاشم بن عبد مناف، وكان أول من قصده المهلهل بن ربيعة وامرؤ القيس، وبينهما وبين الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة).

إن هؤلاء العلماء لم يحددوا أولية الشعر العربي، بل أولية من قصد القصيدة العربية التي اقترن ظهورها بالمهلهل بن ربيعة وامرئ القيس اللذين يمثلان بدايتها لا بداية الشعر العربي إذ للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه وما جاء من هذين الشاعرين يمثل بناءً فنيا متكاملاً، ولا شك أن نتاج مرحلة متطورة نضجت فيها صيغة وأساليبه وهي مسبوقة مراحل تمهيدية متعددة.

أما ما سبقت مرحلة ظهور القصيدة فقد كان ابن سلام من أقدم من أشاروا من النقاد بها يقول (لم يكن لأوائل العرب إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته) إذ يرى أن القصائد إن كانت مسبوقة بشكل شعري يقوم على عدد قليل من الأبيات تسمى (المقطعات) وهي تعد الشكل الأول للشعر العربي ويذكر نماذج منسوبة لعدد من الشعراء الذين سبقوا المهلهل، كقول عنبر بن عمرو بت تميم:

**قد رابني من دلوها اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها**

وقول أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان:

**قالت عميرة مت لرأسك بعد ما نفذ الزمان اتى بلونٍ منكر**

**أعمِير إن أباك شيبَ رأسه كرُّ الليالي واختلاف الأعصر**

وقد زاد ابن قتيبة نموذجا ثالثا قال إنها من قديم الشعر الصحيح على ما أورده ابن سلام وهو قول الحارث بن كعب:

**أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْــنَيْتُــــــــهُ وَأَبْلَيْتُ بعدَ دُهورٍ دُهــــــورَا**

**ثَلاثَةُ أَهْلِينَ صَاحَبْتُهـــــــمْ فبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبيرًا**

**قَلِيلُ الطَّعامِ عَسِيرُ القِيـــامِ قد تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرَا**

هؤلاء طائفة من الشعراء التي وردت أخبارهم، ونماذج من شعرهم كما اتفق عليها النقاد والذي يمثل مرحلة سبقت المهلهل وامرئ القيس، أي قبل ظهور القصائد، وهي مرحلة المقطعات كما اتفق عليها ابن سلام وابن قتيبة، إذ مهدو الطريق لمن جاء بعدهم من الشعراء، وهذا ما نفهمه من قول امرئ القيس:

**عوجا على الطليل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام**

وقد أكد أبو عمرو بن العلاء ذلك في قوله (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا اقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير).

من أجل هذا نقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحددة أي عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى، والذي يؤرخ ما ورثناه من الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية، والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكلاً تاماً.